(المحاضرة الثالثة)

المسالك التجارية :

يعود الفضل في اكتشاف إفريقيا في العالم القديم إلى شعبان أسيويان هما الفينيقيون والعرب ففي حوالي سنة 2250 ق.م. كانت السفن الفينيقية تتاجر مع سواحل مصر بسفن محملة بالأخشاب المستجلبة من غابات لبنان، فيما كان العرب يحضرون إلى مصر وهم محملين بالبخور واللبان من بلاد اليمن السعيد، إلا أن الفينيقيين لم يكونوا يعرفون ما وراء دلتا النيل، رغم أنهم قاموا باستكشاف سواحل الشمال الإفريقي المطلة على البحر المتوسط وانتهوا من ذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، فكان لأهالي صور الفينيقيين الاحتكار التام للتجارة مع إسبانيا في القرون التالية، ففي الثامن قبل الميلاد اجتازت سفن فينيقية أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)، كما أنهم استكشفوا سواحل المغرب المطلة على المحيط الأطلنطي، أما العرب فقد توفرت عندهم المعلومات عن شواطئ البحر الأحمر وأبحروا ما بين القرن الحادي عشر ق.م. والقرن الثامن ق.م. إلى الشاطئ الجنوبي لخليج عدن الذي كان في ذلك الوقت امتدادا للصومال، ثم عرفت هذه المنطقة فيما بعد باسم ساحل القرفة، وأما بالنسبة للسواحل الإفريقية المطلة على المحيط الأطلنطي، فلم يصل بحارة وصيادي العالم القديم الإسباني إلى أبعد من جزر الكاناري canaries أو " الجزر السعيدة "، ثم تم اكتشافها نهائيا بفضل بعثة أرسلها الملك جوبا الثاني Juba II (ت. 23م) ملك موريتانيا.[1]

أما السواحل الإفريقية المطلة على خليج عدن والمحيط الهادي، فقد استطاع العرب الدوران حول رأس العطور الذي هو رأس الصومال [رأس جاردافوي cape Guardafui] ووصلوا بعد ثلاثة وعشرين يوما حتى نقطة ربطة Rhapta (جزيرة زنجبار بتنزانيا)، وهناك أنشأ العرب مركزا تجاريا لجمع واستجلاب العاج وربما تكون هذه النقطة موقع قريب من جزيرة زنجبار Zanzibar أو أنها الجزيرة نفسها، وهناك أنباء عن وصول إحدى السفن العربية إلى رأس براسوم (رأس دلجادو cape delgado) على الساحل الإفريقي (شمال

[1] -كولين ماكيفيدي: أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987 م، ص 65.

موزنبيق) وهذه أبعد نقطة ربما يكون العرب قد وصلوا إليها، أما بالنسبة لداخل القارة فلم يعرف شيء أبعد من جنوب واحات فزان Fezzan [2].

ومهما يكن من أمر فإنه يصعب التسليم بوجود تجارة منتظمة بين المنطقتين قبل القرن الثاني الهجري/القرن 8م[3]، وقد اعتبر لمبارد " هذه المسألة من أعظم أحداث العصر الوسيط العالي وينتهي إلى التسليم بأنه منذ أواخر القرن الثاني الهجري ارتبطت تجارة العالم الإسلامي بهذه الشبكة الجديدة من طرق القوافل والتي تشمل شبكات الشرق وبحر الروم، ففتحت أمام طرق المواصلات العامة أفق العالم السوداني بكامله[4]، كما يسلم "موني" « Mauny R. » بأن معرفة إفريقيا جنوب الصحراء لم تكن إلا على يد العرب المسلمين، ويستبعد أن يكون القدماء قد عرفوا الصحراء جنوب توات أو فزان[5]، كما أن أهم الطرق التجارية كانت حتى تلك الحقبة تتجه باتجاه شمال– شرق وجنوب – غرب منطلقة من الواحات المصرية ومن جنوب إفريقية نحو منحنى نهر النيجر مارا عبر صحراء فزان، إلا أنه بطل استخدامه قبل القرن الرابع الهجري لأسباب طبيعية وأمنية[6]، وحول هذا ذكر بن حوقل أنه شكلت الرياح والعواصف الرملية عاتقا مدمرا لغالبية القوافل المارة بهذا الاتجاه، الأمر الذي دفع إلى هجرانه والانتقال منه إلى سجلماسة[7]، غير أن العودة إلى هذا الطريق استأنف في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.[8]

وعموما فقد اكتملت الروابط بين الشمال والصحراء الإفريقية وجنوبها في القرون الخمسة الأولى عبر ثلاثة مسالك رئيسية وتفرعت عنها طرق ثانوية هي :

---

[2] -المرجع نفسه، ص 66.

[3] -فتوح مصر والمغرب والأندلس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1964 م، ص 94؛ تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق عبد الله المعلي الزيدان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م، ص72.

[4] -الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، 1979 م، ص 26.

[5]- Mauny (R), Tableau géographique de l'ouest Africain au moyen Age d'aprés les sources Arabes, Ifran, Dakar, 1961, p. 118.

[6] -إدريس صالح، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام، مجلة البحوث التاريخية، بغداد، العدد الأول، 1983م، ص 77، 86.

[7] - صورة الأرض، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت.،ص65.

[8] -صباح الشيخلي، تاريخ الإسلام في إفريقيا، مديرية مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1978م، ص 93.

أ-**الطريق الأول** : الطريق الغربي، ويربط المغرب الأقصى بالسودان الغربي.[9]

ب-**الطريق الثاني:** الطريق الأوسط، ويربط تيهرت بالسودان الغربي.[10]

ج-**الطريق الثالث:** الطريق الشرقي، ويربط مناطق طرابلس بالسودان الغربي.[11]

أ- **الطريق الأول** :

الطريق الغربي : وقد ذكر اليعقوبي في كتابه البلدان أن هذه الطريق تبدأ من سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة، يريد أرض السودان[12]، كما أكد الحموي أهمية هذا الطريق.[13]

وعندما تغادر القافلة التجارية مدينة سجلماسة نحو الجنوب، تتوغل في الصحراء الغربية لتصل إلى قوم يقال لهم أبنية، حسب ما ذكر اليعقوبي[14]، ويستمر سير القوافل إلى أن تصل إلى أودغشت (أودغشت) (ظل الغموض قائما في تحديد موقع أودغشت إلى أن توصلت إحدى الدراسات الغربية بعد التنقيبات التي أجريت سنة 1939م، أنها تقع إما جنوب ريكز Irkiz أو في أفولي Affoly [15])، ثم يستمر الطريق إلى مدينة غانة كما ذكر ابن حوقل.[16]

وهناك فرع آخر للطريق الغربي، والذي يبدأ من مناطق السويس في المغرب الأقصى مارا بالصحراء الغربية ومنتهيا بمدينة غانة.[17]

*سجلماسة ـــ أودغشت ـــ غانا

* السويس (المغرب الأقصى) ـــ الصحراء الغربية ـــ أودغشت ـــ غانا

ويصف بن حوقل هذا الطريق ويذكره في شكل مثلث رأسه أودغشت وأقصر أضلاعه بين السوس وأودغشت، والضلع الآخر هو الممتد بين سجلماسة وأودغشت، ومنها إلى غانة،

---

[9] -بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية (160- 296 هـ/ 777- 909 م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث، القرارة، ط 2، 1993 م، ص 217.

[10] -جودة عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م، ص 215.

[11] -البكري، المسالك والممالك، ص 182-183؛ بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، ص 218- 219.

[12] -اليعقوبي: كتاب البلدان، دار إحياء التراث، بيروت، 1987 م، ص 115.

[13] - الحموي، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984 م، ج 3، ص 192.

[14] -اليعقوبي، كتاب البلدان، دار إحياء التراث، بيروت، 1987 م، ص 115.

[15] -جودة عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م، ص 260.

[16] -ابن حوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د .ت، ص 96- 97.

[17] -البكري، ص 159- 168.

وإلى مراكز الإنتاج السوادنية مثل كوغة، وهكذا كشف هذا الجغرافي عن وجود طريق رابط بين السوس الأقصى وأودغشت، في القرن الرابع الهجري.[18]

وبهذا يُعد الطريق الغربي من أنشط الطرق التجارية الصحراوية إلى بلاد السودان خلال القرن الرابع الهجري، بعد أن بطل العمل بطريق مصر ـــــ غانة عبر صحراء فزان.

ب- <u>الطريق الثاني</u> :

<u>الطريق الأوسط</u> : يربط تيهرت بالسودان الغربي وذلك بواسطة طريقين رئيسيين هما :

أ – طريق غربي، يمر عبر سجلماسة

ب – طريق شرقي بالنسبة للأولى، يمر عبر ورجلان (ورقلة ouargla).[19]

أما الطريق (أ) فتسير فيه القوافل من تيهرت إلى فاس، ثم باتجاه سجلماسة مارا على مدينة يقال لها أوزكا، بها فخذ من زناتة يقال لهم بنو مسرة، ثم يواصل إلى سجلماسة[20]، وقد قدر الحموي المسافة بعشرة أيام[21]، وفصل الإدريسي هذا المسلك من فاس إلى صفروى إلى تادلة إلى آغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة.[22]

---

[18] - ابن حوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د .ت، ص 91.
[19] - جودة عبد الكريم، العلاقات....، ص 248.
[20] -البلدان، ص 114.
[21] -الحموي: المعجم، ج 3، ص 192.
[22] - الإدريسي: نزهة المشتاق، ج 1، ص 243.